مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Journal of Social Sciences and Humanities
المجلد: 15/ العـدد: 02 (2025)،
ص 847 - 860

جهود الإمام عبد الواحد بن عاشر في قضايا الرّسم القرآني.

Imam Abdul Wahids efforts in caligrapgy issues

benahmed fayza

بن أحمد فايزة[1-*]

[1-] أستاذة محاضرة ب جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

fayza.benahmed@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2024/09/19 تاريخ القبول: 2025/11/02 تاريخ النشر: 2025/12/15

ملخص:

يتطرق هذا البحث لبيان جهود علم من أعلام المدرسة المغاربيّة في ميدان رسم القرآن الكريم، ألا وهو العالم الهُمام عبد الواحد بن عاشر؛ هذا العلم الّذي استوى على سوقه وأينع على يد أقطاب علماء مدرستنا المغاربيّة بعدوتيها؛ الأندلسيّة والبربريّة، وقد عُنيت هذه الورقة البحثية بتحقيق أهداف، لعلّ أبرزها، بيان الإضافة العلميّة الّتي تميّز بها شرح الإمام عبد الواحد بن عاشر لمورد الظمآن مقارنة بما سبقه من مؤلّفات علميّة، إلى جانب إيضاح طرق الاستدلال المتّبعة من الإمام في اختياراته وآرائه ، ولقد اعتمدت المنهج الاستقرائيّ التحليليّ لتتبع هذه الجهود، سواءً أكانت استدراكات علميّة ، أم اختيارات أدائيّة، أم توجيهات لظواهر الرسم العثمانيّ، ومن ثمّ تحليلها ومقارنتها بمصادر المورد كأقوال سليمان ابن نجاح، والبلنسي في منصفه، مع الاستعانة بأداة المقارنة متى دعت الحاجة إليها أثناء العرض والتّحليل، ولقد حقق البحث نتائج نذكر منها؛ بيان شخصيّة هذا العلم المغاربيّ الفذّ بعيدًا عن ساحة الفقه الّتي عرف واشتهر بها، إلى جانب مقارنة اختياراته مع مسائل ماجرى به العمل، وبيان بعض التوصيات التي تكون سندا للباحثين من بعدي، وكلّه موضّح داخل صفحات هذا البحث.

كلمات مفتاحية: الرسم العثماني. عبد الواحد بن عاشر. فتح المنان. مورد الظّمآن. جهود علميّة.

Abstract:

This research deals with the efforts of one of the prominent scholars of the Maghreb school in the field of drawing up the Holy Qur'an, this science that has established its market and flourished at the hands of the leaders of the scholars of our Maghreb school with all its scientific cities that brought together Kairouan, Algeria, and the metropolis of Fez. He is the

[*] المؤلف المرسل: بن أحمد فايزة ، الإيميل: fayza.benahmed@univ-tlemcen.dz

scholar Abdul Wahid bin Ashir, the jurist and reciter, This research paper was devoted to achieving goals, perhaps the most prominent of which is to explain the scientific addition that distinguished his explanation of the resource compared to the previous compositions. He adopted the inductive and analytical method to trace his opinions, whether they were deductions, performative choices, or directives to the phenomena of Ottoman painting, and then analyze them. And comparing it with the sources of the resource, such as the sayings of Suleiman Ibn Najah, and Al-Balansi in his Munsif, The research has achieved results including: Explaining the personality of this distinguished and distinguished person, far from the arena of jurisprudence in which he was known and famous, and comparing his choices with issues that were previously worked on, all of which is explained within the pages of this research.

Keywords: **Ottoman drawing. Abdul Wahid bin Ashir. Fateh el mannene.Mawrid damane.**

Scientific efforts.

Résumé :

Cette recherche porte sur les efforts d'un des savants éminents de l'école maghrébine dans le domaine de l'élaboration du Saint Coran, cette science qui a établi son marché et prospéré entre les mains des dirigeants des savants de notre école maghrébine. avec toutes ses cités scientifiques qui rassemblaient Kairouan, l'Algérie et la métropole de Fès. Il s'agit du savant Abd al-Wahid ibn Ashir, juriste et récitant. Ce document de recherche était consacré à la réalisation d'objectifs, dont le plus important est peut-être d'expliquer l'ajout scientifique qui distingue son commentaire sur al-Mawrid par rapport aux compilations précédentes. Il a adopté l'approche inductive et analytique pour retracer ses opinions, qu'il s'agisse de corrections, de choix performatifs ou de directives sur les phénomènes de la peinture ottomane, puis les a analysées et comparées avec des sources de ressources telles que les paroles de Suleiman Ibn Najah et Al-Balansi. dans son Munsif. La recherche a obtenu des résultats dont nous pouvons citer ;

Expliquer la personnalité de cette personne distinguée et distinguée, loin de l'arène de la jurisprudence dans laquelle il était connu et célèbre, et comparer ses choix avec des questions sur lesquelles on a travaillé auparavant, tout cela est expliqué dans les pages de cette recherche.

un**Mots clés** : Dessin ottoman. Abdul Wahid bin Ashir. Fateh el mannen. Maourid eddamane. Efforts scientifiques

- **مقدمة**

شهد مغربنا العربيّ جهودا جمّة في مجال الدّرس القرآنيّ وما تعّلق به من علوم لا سيما علم رسم المصاحف العثمانيّة منذ القرون الأولى الّتي تلت الفتح الاسلاميّ، ويعتبر عهد الإمام الدّاني (444ه) فترة ذهبية لهذا العلم بالمغرب العربيّ ، وهذا من خلال جهوده الّتي أثرت المكتبة الإسلاميّة بمصنّفات رّصينة حتّى عدّ رائدا في هذا الفنّ، وأصبحت المؤلفات من شتى أقطار العالم الإسلاميّ معتمدة على آرائه، فنال ابن الصّيرفيّ رفقة تلميذه سليمان بن نجاح لقب المشيخة، فإذا أطلق لفظ الشيخان في المرسوم انصرف إليهما، وفي أواخر القرن السّابع برز بالمغرب العالم الهمام الإمام محمد بن محمد الشّريشي الملقّب بالخرّاز ، فملأ الدّنيا بتآليفه؛ لاسيما مورده الّذي خطّه في رسم القرآن، حيث ضمّنه مسائل نفيسة في هذا العلم، إلى جانب اختيارات وردودٍ اعتبرت عمدة ومرجعا لكلّ باحث، فكتب على هذا المتن شروح عديدة كشرح بن آجطّا ، وشرح المجاصي، وشرح أبو عبد الله بن جابر المكناسي، ومن بين الشروح الّتي نالت حظوة بالحاضرة المغاربيّة، شرح سيدي عبد الواحد بن عاشر المسمى بفتح المنان المروي بمورد الظّمآن، فجاءت مداخلتي لبيان الجهود العلمية ورمتُ تحقيق أهداف منها:

*إبراز جهود الإمام ومنهجه في التعامل مع قضايا الرّسم.

*الكشف عن شخصيّة عن الواحد بن عاشر بعيدا عن الفقه بعد اشتهار متنه في حواضر المغرب العربيّ.

*استنباط التوجيهات التي اعتمدها الإمام لظواهر الرّسم المختلفة

وقد اعتمدت في عملي المنهج الاستقرائيّ من خلال الاطلاع على شرحه المسمّى ب"فتح المنّان المروي بمورد الظّمآن"، واستخراج جزئيات هذا البحث ، مستعينة بأداة المقارنة أحيانا عند مقابلة أقوال الشرّاح، ليتضح سبق ابن عاشر إلى مسائل دقيقة، أو مقارنة استدراكاته وآرائه مع من سبقه من العلماء، وانطلقت من جملة إشكالات أبرزها:

-ماهي الطرق التي اعتمدها الإمام لتعليل اختياراته وآرائه؟

-كيف وظّف ابن عاشر علم الرّسم كأداة للترجيح والاستدلال؟

وقد سبقت دراستي هذه بجملة من المقالات التي تتعلق بجهود ابن عاشر في علم الرسم، من ذلك مقال بعنوان: الإمام عبد الواحد بن عاشر وجهوده في الرسم القرآني للباحث محمد المحروشي لكنه قصر الجهود على استدراكات بن عاشر على الإمام الخرّاز، في حين تحدثت ورقتي البحثية عن استدراكات وتوجيهات واختيارات، كما وقفت على عمل جادٍ للباحث طيّاوي هاشم محمد موسوم: اختيارات عبد الواحد بن عاشر في شرحه على المورد؛ وخصّصت هذه الاختيارات حول قاعدة الحذف فقط، أمّا خطتي التي قسّمت عليها العمل فهي موزّعة كالآتي:

المبحث الأول: التعريف بالمُؤلّف والمُؤَلَّف

المطلب1: ترجمة المحقق ابن عاشر

.المطلب2: مكانة فتح المنّان من شروح المورد

المبحث الثّاني: قضايا الرّسم في فتح المنّان

المطلب1: استدراكات عبد الواحد بن عاشر الواردة في شرحه

.المطلب2: اختيارات عبد الواحد بن عاشر الواردة في شرحه

المطلب3: توجيهه لظواهر الرسم

1. **المبحث الأول: التعريف بالمُؤلّف والمُؤَلَّف**: سأتطرّق في هذا المبحث إلى التعريف بالشّرح الموسوم بفتح المنان وبصاحبه الإمام عبد الواحد بن عاشر

1.1 **المطلب الأوّل:** ترجمة الإمام ابن عاشر:

هو عبد الواحد بن أحمد بن عليّ بن عاشر، ولد سنة تسعين وتسعمائة للهجرة، يكنّى بأبي مالك، يسمّى بالأندلسيّ لأنّ أصول آل عاشر من الأندلس، وقد نزحوا قبيل سقوط غرناطة إلى المغرب واستقرّوا بمدينة فاس، (مخلوف م.، 1930، صفحة 209) وبها ولد الإمام ونشأ، (كتّاني، د.ت، صفحة (250/02)) ذكر تلميذه محمّد ميّارة أنه روى القرآن مشافهةً على ثلّة من شيوخ فاس منهم؛ الأستاذ أبو العباس أحمد بن الفقيه، والإمام أبو العباس أحمد الكفيف(1005ه) الّذي قرأ عليه بالسّبع، والخطيب أبو عبد الله محمّد الشّريف التّلمساني، (ميّارة م.، د.ت، صفحة 04) أما علم النّحو فقد أخذه عن أبي عبد الله محمد القصّار،(1012ه) وأحمد بن محمّد بن أبي العافية(1025ه)، وللعلامة ابن عاشر شيوخ بغير فاس؛ قرأ عليهم لمّا رحل لأداء فريضة الحجّ سنة ثمانية وألف من أمثال المحدّث أبو عبد الله بن يحيى العِزّي الشّافعي(1019ه)، ومفتي المالكية بمصر سالم السنهوري(1016ه)، وعبد الله الدّنوشري النحويّ المصريّ(1025ه) وغيرهم. (الحضيكي، 1983، صفحة (335/03))

تميّز الإمام في مجال التّاليف، فخدم المكتبة الإسلاميّة في تخصصات مختلفة؛ فخّط كتباً في علوم القراءات القرآنيّة؛ كفتح المنّان والإعلان بتكميل مورد الظّمآن، وحاشية على كنز المعاني، وله في العقيدة

تقاييد على العقيدة الكبرى للإمام السّنوسي، أما في الفقه فقد اشتهر بهذه الصنعة، وذلك للمكانة السّامية الّتي تبوّأها متنه المرشد المعين على الضّروري من علوم الدّين، وله في النحو قصيدة من ستٍّ وسبعين بيتا وهي عبارة عن مخطوط بالخزانة العامّة بالرّباط، توفي الإمام الزاهد ضحى يوم الخميس شهر ذي الحجة سنة أربعين . (كتّاني، د.ت، صفحة (311/02))

2.1 **المطلب الثّاني:** مكانة فتح المنّان من شروح المورد.

مورد الظّمآن متن في علم الرسم اعتنى به العلماء عناية فائقة فكتبت عليه الشروحات والمختصرات، وكان أول شارح لهذا النظم تلميذ الخرّاز؛ الإمام أبو محمد عبد الله بن آجطّا الصنهاجي، لذلك لُقّب بالشّارح، هذا إلى جانب مصنّفات أخرى تباينت في الحجم والفوائد؛ كشرح المجاصي المُقتضب، وشرح أبي عبد الله يحيى بن محمد الغساني صاحب الاستدراكات، وتنبيه العطشان للرّجراجي وغيرها .(أعراب، 1990، صفحة 199)

ويعتبر شرح ابن عاشر من أنفس الشرّوح للمكانة العلميّة الّتي تبوّأها صاحبه، إذ يقول فيه الحُضيكي في مقام ثناء:" تميّز بدماثة الأخلاق وسمتٍ حسن، وزهادة في الدنيا وورع تامٍّ، وكان دؤوبا على تعليم النّاس، حريصاً عليهم وعلى إحياء السّنن والدّين وإخماد البدع"، (الحضيكي، 1983، صفحة (512/02)) هذا إلى جاب نبوغه في كثير من العلوم، ولا أدلّ على ذلك من مؤلّفاته المتنوّعة، حتّى لُقّب بالإمام الكبير والحجّة الشّهير .(القادري، 1977، صفحة (283/1))

أما فتح المنّان فتتجلّى أهميّته من خلال كثرة مصادره الّتي تنوّعت بين مصادر سماعيّة أوردها شرحه في عديد من المواضع، وأمّهات مصادر علم الرسم والقراءات كمختصر التبيين لأبي داود ومقنع الدّاني وعقيلة الشّاطبي وشروحاتها، والتيسير والتبصرة ومؤلّفات أخرى في علوم متنوّعة، وما زاد الشّرح أهميّة، تلكم الأبيات الّتي أصلح بها المتن واستدرك عليها، كإضافته موضع وصل (أن لو) في الجنّ وفصلها في باقي القرآن إذ قال: (ابن عاشر، د.ت، صفحة 1119)

وعَنْ أبي دَاودَ ألّو وُصِلَا في الجِنّ والباقي بنونٍ فُصِلاَ

كما أصلح سكوت الخرّاز عن لفظ (الأدبار) في سورة الفتح، وإغفاله له في الحشر والأحزاب فقال مستدركا :(ابن عاشر، د.ت، صفحة 684)

وعنْ أبـي دَاوٗد جَا أدبـــرهم كَمَا مِن الأحْزابِ مَع أعْنَاقِهِمِ

لا الرّعدُ والمنْصِفُ فيمَا حَقّقَا الأدْبَأر مع أعْنَاقِهِمْ قدْ أطْلقَا

ولم يستدرك الإمام عبد الواحد بن عاشر في شرحه على صاحب المتن فحسب، بل نقد وعابَ أقوالا غير صائبة، وكان في قمّة التواضع والأدب، إذ لم يصرّح باسم المستدرك عليه، بل يصفه بقوله: " بعضهم، شرّاح المورد" فقال في معرض الرّد على من أدرج الجمع المنقوص في قاعدة الجمع:" ولمّا حمل الشّراح كلامه على الشّمول، اضطرب كلامهم وحكموا بإثباته، ثم يواصل نقده إلى غاية قوله وكلّ ذلك بناءٌ على غير

أُسُس" هذا إلى جانب تعليلاته لاختيار الناظم بعلل نحوية وأخرى انطلاقا مما جرى عليه العمل بمغربنا العامر تدلّ على رسوخ الإمام في هذا الفنّ الجليل. (ابن عاشر، د.ت، صفحة 470)

2. **المبحث الثّاني:** قضايا الرّسم في فتح المنّان.

سأحاول في هذا المبحث التطبيقيّ الوقوف على الجهود العلمية للشارح في كتابه، من خلال استقراء استدراكاته، واختياراته، وبعضٍ من تعليلاته.

1.2 **المطلب الأوّل:** استدراكات عبد الواحد بن عاشر الواردة في شرحه

الاستدراكات العلمية هي اتباع قول أوّل بثان يصلحه، أو يُكمّل نقصه، أو يزيل إبهامه، (الزّهراني، 1430، صفحة 10) وهو مسلك ذائع منتشر في ثنايا العلوم، وما زال أهل العلم يستدرك بعضهم على بعض لما في هذه المنهجية من فوائد أبرزها؛ التّحصيل العلميّ وتمكّنه في النفس، مع حصول سعة في المدارك (السّديس، 1429، صفحة 06) وهو عين ما يحتاجه المتخصّص، وسأذكر في هذا المطلب نماذج من استدراكات ابن عاشر سواءً أكانت على الخرّاز صاحب المتن، أم على غيره من الشّراح.

1.1.2 الفرع الأول: استدراكه على اختلافهم في جموع السلامة

استدرك عبد الواحد ابن عاشر على الشّرّاح لبيت الخرّاز الّذي يقول فيه: (الخراز، 2011، صفحة 07)

.... رسالةَ العقود قلْ ورَاسياتٍ

رجّح ثبتَهُ وباسقاتٍ وفي الحواريّين ومعْ نحسات

فبعد أن تحدّث الناظم عن أنواع جمع السلامة، وما ورد فيه الإثبات والحذف، شرع في ذكر الخلاف لأبي داود في أولى راسيات وباسقات بسورتي سبأ وق، من قوله تعالى ﭽﯔ ﯕﯖﯗ ﭼ{سورة سبأ، 16} وقوله أيضا ﭽﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ{سورة ق، 10} ، حيث أنّها كتبت بالألفين في بعض المصاحف، والأكثرون على الحذف، والرّاجح عنده

الإثبات؛ بدليل قوله (رجّح)، (أبو زيتحار، 2009، صفحة 29) ، وهذا ما ذُكر بعبارة صريحة في كتابه التّنزيل، (ابن نجاح، 1421، صفحة (1010/04)) فاستدرك بعض الشراح على الخرّاز منهم، ابن جابر في اصلاحاته المعروفة على مورد الظّمآن، فقال بأن الناظم كان عليه أن يقول: " قل وراسيات نقل ثبته وباسقات" (ابن جابر، د.ت ، صفحة 263) وذلك لأنّ أبا داوود قال في التنزيل:" بألف ثابتة". (ابن نجاح، 1421، صفحة (1135/04))

أماّ الإمام التّجيبيّ فحمل كلام أبي داود على التناقض وذلك لتصريحه في تنزيله بالإثبات، وذكره للخلاف في كتابه هجاءُ المصاحف.

فكان ردّ ابن عاشر على هذين الإمامين باستدراك يعكس مدى عمق فهمه، وذلك من خلال قاعدة استنبطها للخراز في نقله عن أبي داود مفادها: إذا ذكر قاعدة ذات وجهين ثمّ أعاد فردا من أفرادها مقتصرا على أحدهما فهذا من أساليبه في التّرجيح، فبعد ذكره

الحذف فيما اجتمع فيه ألفين من جمع المؤنّث، ثم أعاد ذكر الإثبات في هذين اللفظين فقط ، عُلم أنه من ترجيحاته، أما القول بالتناقض لأبي داود في كتابيه فحمله ابن عاشر على أنه اقتصار على واحد من الوجهين في كلّ من الكتابين (ابن عاشر، د.ت، الصفحات 242-385-447) .

2.1.2 الفرع الثاني: استدراكه على إطلاق حذف ألف عظام بسورة المؤمنين

ذكر الخراز مذاهب الأئمّة الثلاثة(أبو عمرو الداني ، سليمان بن نجاح، البلنسي) في حذف ألف العظام، فأبو عمرو الداني أقرّ بالحذف في أول موضع من سورة المؤمنين، وسكت عمّا سواها في القرآن، (الدّاني، 2010، صفحة 195) وأبو داوود على الحذف فيهما وفي كل القرآن عدا البقرة والقيامة، والبلنسيُّ على الحذف كذلك، (أبو زيتحار، 2009، صفحة 52) فقال موضحا هذه المذاهب (الخراز، 2011، صفحة 16) :

..... وفي العِظَام عَنهُما في المُؤمنِين

وغيرَ أوَّلِ بتنزيلِ أَتَيْن كُلّاً والأَعنابِ بغَيْرِ الأوْلِيــْن

لكنَّ عِظَامهُ لهُ بالأَلِف وكلُّ ذلكَ بحذف المنْصِـــــف

فلمّا كان ظاهر النّظم يوحي بحذف أبي عمرو لكلّ مواضع المؤمنين، ذكر عبد الواحد بن عاشر في شرحه أنّ بعض من حضر مجلس الشّيخ سأله عن هذا الإطلاق فبدا له فساده فأصلحه بقوله: وعنهما العظام حرفا المومنين، إلّا أنّ صاحب فتح المنان استدرك على الخرّاز في إصلاحه هذا وذكر بأنه أشبه من شطر الأصل، لأنه مبهم؛ فهل مراده الموضعين الأولين، أم الوسطين، أم الطرفين، فقال مصلحا له :(ابن عاشر، د.ت، صفحة (554/01))

وكيفَ أزواجٌ وكيَفَ والدِّين والدَّاني أوَّل عِظَامِ المُؤمنين

ووصف بعض شراح المورد أن هذا الإصلاح من أحسن ماقيل (أبو زيتحار، 2009، صفحة 52).

3.1.2 الفرع الثالث: استدراكه على ابن آجطّا بخصوص ألف هذان وألف فذانك

وضّح الإمام ابن عاشر وهو يشرح مسألة ما اتفقت المصاحف على حذفه من لفظ "ذلك" متعدّدا بزيادة سابقة أو لاحقة، مثل:{ فذلكنّ، ذلكم} فائدة استدرك فيها على ابن آجطّا في التبيان؛ فقال بأنّ لفظ (هذان)بالحجّ بالإضافة إلى (فذانك بالقصص،} لا يندرجان تحت قاعدة ذلك، وإن كان أبو داوود يرى الحذف في القصص، حيث ذكر الخرّاز في منهجيّته أنه يجتزئ في المذكور من كلمات النظم المتكررة الّتي يجمعها حكم واحدٌ على ما وقع منه أولا، منوعا؛ ويقصد بالتنوع الزيادة في المبنى، متّحداً؛ وهو ما تعدد ولم تصحبه زيادة، (ابن عاشر، د.ت، صفحة (404/01)) وبالتالي فإنّ موضع القصص غيرُ مندرج لا في المنوّع لأن الزيادة لا تكون بالنقصان، وانما بحروف سابقة أو لاحقة، ولا في المتّحد، فكان ما ذكره ابن آجطّا عدمُ صواب، (ابن آجطّأ، 2013، صفحة 235) فقال ابن عاشر مستدركا عليه في أدب جمّ من غير تصريح باسمه: " خلافا لمن زعم اندراج فذانك مع ذلك" (ابن عاشر، د.ت، صفحة (405/01))

4.1.2 الفرع الرابع: استدراكه على الخراز في لفظ مدهامّتان: استدرك صاحب فتح المنّان على الناظم ثم اعتذر له، في معرض حديثه عن الخلاف في ألف المثنى، فقال:" بقي على الناظم ذكر الخلاف عن أبي داوود في الألف الأولى من (مدهامّتان) بسورة الرحمن حيث ذكر في تنزيله أنها بحذف الألفين في بعض المصاحف، وبإثباتهما في البعض الآخر، أما في الهجاء فاقتصر على ذكر حذف الأولى، وإثبات الثّانية، (ابن نجاح، 1421، صفحة (1171/04)) ، وهذا الخلاف هو الّذي سكت عنه الخرّاز وذكره ابن عاشر في شرحه؛ ثمّ اعتذر له فقال بأن إغفال هذه الجزئيّة من قبله كانت نتيجة إشكال في عبارة أبي داوود في كتابه التّنزيل، فقوله فيه "بحذف ألف مدهامّتان " مشكل، وهو تصحيف أصله حذف الألف ثمّ تصحّف بالتثنية، فلمّا رأى الناظم ما في هذه المسألة من إشكال أعرض عنها. ولم يرجح ابن عاشر شيئا ولم يذكر ما عليه العمل في مصاحفنا بالمغرب من إثبات الأولى وحذف الثّانية خلافا للمشارقة الّذين أثبتوا الألفين معاً. (ابن عاشر، د.ت، صفحة (545/01))

5.1.2 الفرع الخامس: استدراكه على الناظم بخصوص الحذف في لفظ وهو خادعهم: أغفل الإمام الخرّازُ حذف ألف (وهو خادعهم) في النّساء فلم يذكر فيها شيئا، رغم أن أبا عمرو ذكر الحذف في مقنعه، (الدّاني، 2010، صفحة 84) وبه قال تلميذه ابن نجاح (ابن نجاح، 1421، صفحة (424/02)) ، ولعلّ سكوت الناظم عن هذا الموضع جاءَ اقتداءً بالشاطبيّ في عقيلته إذ قال :(الشاطبي، 2013، صفحة (24

واحْذِفهُمَا بعدُ فِي ادّارأتم ومَسَا كينَ هُنا ومَعًا يخَادِعُونَ جَرَى

فذكر ابن عاشر في شرحه أنه وقف على طُرّة مكتوبة على المحلّ الثّاني من التنزيل ذُكرت فيها آية النساء، ثم قال المؤلّف معلّقا: {بحذف ألفيهما}، فلمّا تبيّن له الصّواب زاد بيتا للمورد يوضّح فيه هذه المسألة قائلا :(ابن عاشر، د.ت، صفحة (498/01))

يُخَادِعونَ اللهَ وهُوَ خَادِعُهُم فاحْذِفهُمَا فَهُمَا فِي مُقْنعِ ذُكِرَا

6.1.2 الفرع السادس: استدراكه على الناظم بخصوص سكوته على لفظ حاججتم: في لفظ (حاججتم) الواقع في سورة آل عمران، ذكر سليمان بن نجاح الحذف في الألف، (ابن نجاح، 1421، صفحة (352/02))إلاّ أنّ الخرّاز في مورده أهمله وأغفله ولم يذكر بخصوصه شيئا رغم ورود الرواية فيه، فاستدرك ابن عاشر على هذا السّقط وجعل له عنوانا سماه تنبيها فقال فيه: بقي على الناظم من هذه المادّة حاججتم في آل عمران، فإنّ أبا داوود ذكره بحذف الألف. (ابن عاشر، د.ت، صفحة (632/01))

2.2 المطلب الثّاني : اختيارات عبد الواحد بن عاشر الواردة في شرحه لم يكن صاحب فتح المنّان محض شارح لمورد الخرّاز بل أضاف لشرحه اختيارات وتعليلات جعلته مميزا من بين شروحات المورد وهذا ما سأقف عليه في هذا المطلب:

1.2.2 الفرع الأوّل: اختياره في مسألة الكثرة: كثيرا ما يعبّر المصنّفون بمصطلح الكثرة، أو كثير الدّور؛ وقد اختلف المصّنّفون في علم الرّسم حول حدّ هذه الكثرة؛ فمنهم من جعلها ثلاثة، ومنهم من قال أنها خمسة، ومنهم من ذهب للقول بالسّبعة، وقد اختار ابن عاشر العدد ثلاثة، وعبّر عن اختياره هذا بأنه ما جرى به العمل، واستدّل على ذلك بحجّة منطقيّة وأخرى من خلال استنباطه لمنهج الشّريشي؛ أمّا المنطقيّة فهي قولنا للرجل الواحد واحدٌ، وللاثنين رجلان، وما زاد على ذلك بصيغة الجمع أي رجال، أما الضّابط الّذي استقرأه من المتن فهو مراد الناظم بالمتكرر والّذي لا يعني ما وقع مرّتين، بل ما يزيد على ذلك، بدليل أنه مثّل للفظ(حسرات) في موضع من متنه بما جاءَ منفردًا رغم أن اللفظة هذه وردت مرتين في القرآن. (ابن عاشر، د.ت، صفحة (436/01))

2.2.2 الفرع الثّاني: اختياره في لفظ المنشآت: اختلف في المحذوف من كلمة (المنشآت) أهو صورة الهمزة، أم ألف الجمع، وذكر ابن نجاح أن بعض المصاحف كتبت اللفظة بياءٍ بين الشّين والتّاء من غير ألف (المنشيت)، وفي البعض الآخر بألف ثابتة (المنشأت)، (ابن نجاح، 1421، صفحة (1162/04))قد علق أبو عمرو على ذلك، فقال بأن الرسم الأول موافق لقراءة الكسر المرويّة عن حمزة، فتكون الياء صورة للهمزة المكسور ماقبلها، ورسم الألف لقراءة الفتح. (الدّاني، 2010، صفحة 50)

وبعد بسط الخلاف اختار ابن عاشر، اختيارا بما يتوافق و مسائلَ ما جرى عليه العمل، وذلك أنّ الألف صورة الهمزة، رُسمت عند حذف ألف الجمع، وهو الّذي ضبطت عليه مصاحفنا بالمغرب العربيّ، واختاره شرّاح حواضرنا المغاربيّة .(ابن عاشر، د.ت، صفحة (498/01))

ثمّ ذكر قضية مخالفة لهذا، وهي في نظائر ءامنون، وءاخرين، فقال بأن الألف هو الهوائي وصورة الهمزة محذوفة وهو ماجرى عليه العمل. (الفاسي، 1426، صفحة (402/03))

3.2.2الفرع الثالث: اختياره وجه الإثبات في لفظ (تكذّبان): في معرض شرح ابن عاشر لمذهب الشيخين في ألف المثنّى حذفا وإثباتا، تطرّق للخلاف في لفظ (تكذّبان) فالشيخان على الخلاف فيها، (ابن نجاح، 1421، صفحة (1166/04)) نتيجة اختلاف المصاحف في رسمها، (الدّاني، 2010، صفحة 94) ثم ساق أقوالا عديدة في ذكر مواطن كتابتها بالوجهين في مختلف مصاحف الأمصار ، وفي باب الترجيح جاء بقول الطّلمنكيّ ّالذي اختار الحذف لشهرته، لكنّه ما لبث أن علّق عليه بقوله: لكن اختيار المشايخ الإثبات وبه جرى العمل فعلم أنّه من اختياراته وترجيحاته .(ابن عاشر، د.ت، صفحة (545/01))

4.2.2الفرع الرّابع: اختياراته فيما سكت عنه أبو داوود: أخبر الخراز عن صاحب المنصف أنه حذف ألف(إحسان وشعائر) كيفما جاء، وذكر أبو داوود الحذف فيهما وسكت عن أول الموضعين، (ابن نجاح، 1421، صفحة (1065/02) فرجّح ابن عاشر الحذف في المسكوت عنه حملا على النظائر، فخالف بذلك الشّارح الأول (ابن آجطّا) والنّزروالي والرّجراجي، والمجاصي، وعلى اختيار ابن عاشر سار كلّ من ابن القاضي والمارغني (ابن عاشر، د.ت، صفحة (526/01)) .

5.2.2الفرع الخامس: اختياره حذف الألف الثانية في المنصوب المختوم بألف: في معرض الحديث عن الخلاف في حذف الألفين في المنصوب المختوم بألف قبله همزة، نحو: ماءً، سماءً، مراءً، ذكر ابن عاشر أنّ (بلاءً) مندرجة تحت هذا الباب، فيحتملُ أن تكون المحذوفة فيه هي الألف الثّانية، ثمّ عقّب قائلا: وهو الرّاجح .(ابن عاشر، د.ت، صفحة (549/01))

6.2.2الفرع السادس: اختياره في مبحث همزة الاستفهام الداخلة على الهمزة الوصليّة المفتوحة: من مواضع حذف همزة الوصل عند الشّيخين، أن تكون مكسورة بعد همزة استفهام؛ نحو:{ قل اتّخذتم+أطّلع الغيب، أستكبرت}واحترز الخرّاز بذكره للوصليّة بحالة حركتها وهي الكسرة فقال: "وبعد الاستفهام إن كسرتا" وذلك لأنّ الوصليّة المفتوحة الواقعة بعد همز استفهام ففيها خلاف، والمختار كما رجحه ابن عاشر وغيره أن الموجودة هي الوصليّة، ولا صورة للاستفهاميّة فكان هذا من ترجيحاته رحمه الله .(ابن عاشر، د.ت، صفحة (563/01)).

7.2.2 ورد الخلاف عن الشّيخين في حذف ألف (مواقع) (الدّاني، 2010، صفحة 98)من قوله تعالى:{ فلا أقسم بمواقع النّجوم} {سورة الواقعة، 75} (ابن نجاح، 1421، صفحة (1182/04))وقد أشار الخرّاز في منظومته إلى هذه المسألة بقوله: (الخراز، 2011، صفحة 32)

أضْغانُ ألواحٍ وفِي لوَاقِعْ وعنْهمَا الخِلافُ في مَواقِعْ

لكنّ ابن عاشر ههنا رجّح الحذف في الكلمة واختاره، لوروده روايةً في المصاحف المدنيّة. (ابن عاشر، د.ت، صفحة (784/02)).

8.2.2 الفرع الثامن: اختياره حذف الهمزة الاستفهامية في لفظي (ءالذّكرين وءالله) في همزة الاستفهام الداخلة على ألف ولام التعريف اختار ابن عاشر وجود همزة الوصل أمّا الاستفهاميّة فهي المحذوفة؛ فذلّل على ذلك بقوله:" فإنّ المختار في هذا القسم أنّ الألف الموجودة هي همزة الوصل، وأن همزة الاستفهام لا صورة لها" (ابن عاشر، د.ت، صفحة (525/01))

3.2 المطلب الثّالث: توجيهه لظواهر الرسم. ظواهر الرسم هي قواعده ومسائله وأبوابه، وهي لبّ علم الرسم لكنها ليست هي كلّ العلم، بل تمثّل جانبا منه إضافة إلى مباحث أخرى كتاريخ تدوين المصحف، وتاريخ تطوّر الكتابة العربيّة، وحكم التزام الرّسم العثمانيّ (بودفلة، ظواهر الرسم ، 2017، صفحة 27)وتوجيه هذه الظواهر مسلك ذائعٌ عند علماء العربيّة وأرباب هذا الفنّ، منذ القدم، كابن نجاح وابن البنّاء المراكشي وغيرهما، وابن عاشر واحد منهم حيث وقفت على توجيهات وتعليلات لبعض من الأوجه والاختيارات، وسأذكر نماذج منها:

1.3.2 الفرع الأول: توجيهه حذف ألف جمع المؤنّث: ورد الخلاف في الألفين من جمع المؤنّث السّالم، فأثبتتا في بعض المصاحف، وحذفتا في الغالب الأعمّ منها، وهذه عبارة الداني في مقنعه، (الدّاني، 2010، صفحة 23) فتبيّن أن صاحب المقنع يرى أنّ إثباتهما معا قليل، والكثرة مع الحذف، أما أبو داوود

فعكسه، حيث يقول أن الأكثر على حذف الثّاني وإبقاء الخلاف بالأول، (ابن نجاح، 1421، صفحة (33/02)).

وعلّل ابن عاشر هذا الاختيار بقوله أنّ الثّاني أنسب بالحذف ؛ لأنه يختصّ بالجمع، ولأنه هو الّذي يحذف حال الإفراد، إذ مفرد صائمات مثلا صائمة وبالتالي فالثّقل قوي بها لا بالأولى، فحذفت وبقي الخلاف في الأول (ابن عاشر، د.ت، صفحة (443/01))، ثّم ساق قولا للجعبريّ يذكر فيه عكس هذا؛ حيث يرى أنّ حذف الأوّل أولى لأنّه سابق، (الجعبري، 2009، صفحة (68/02)) ولما عطف على قول الجعبري اختيارا وتعليلا لأبي داوود عُلم أنّه جعل رأي الجعبري مرجوحا واختار ما ذهب إليه صاحب المختصر وقوّى وجهه بالتعليل المذكور .(ابن عاشر، د.ت، صفحة (498/01))

2.3.2الفرع الثاني: دفاعه عن توجيه الخراز لحذف ألف السّيّئات: في الحديث عن إجماع المصاحف على إثبات ألف {السّيّئات}احتجّ الخرّاز لهذه الظاهرة، فذكر أنّ علّة ذلك هو حذف الياء منه لاجتماع المثلين؛ فقال معبّرا :(الخراز، 2011، صفحة 19)

وللجميع السّيّئات جاءَ بألفٍ إذ سَلَبُوهُ اليَاءَ

فلو حُذف الألف لتوالى حذفان في الكلمة الواحدة وذلك إجحافٌ؛ (ابن عاشر، د.ت، صفحة (474/01)) ثمّ ذكر أنّ بعض الشرّاح عارض تعليل النّاظم لهذه الحجّة، وكان يقصد بالبعض، الرّجراجيّ في تنبيه العطشان، حيث نقض تعليل الناظم بالحذف في كلمتي (خطئون) و(خطيئت) اللّتان حذفت منهما الياء على نحو سيّئات إلا أنّ الألف محذوفة بعد الخاء؛ بل إنّ سيّئات أحقّ بالحذف لثقلها

بكثرة الدّوران وبالتّأنيث ، فأجاب عن هذا الإشكال بأنّ الفرق بينهما؛ مباشرة الحذف لصورة الهمزة، فلو حذف ألف السّيّئات صارَ المحذوفان متواليان من غير حائل بينهما وذلك أثقل؛ في حين أنّ الطّاء قد حالت بين المحذوفين في (خاطئون)، لأجل ذلك أُثبتت في الأولى وحذفت من الثّانية .(ابن عاشر، د.ت، صفحة (474/01))

3.3.2الفرع الثّالث: توجيهه حذف الألف المتوسطة بعد نون الضّمير: أخبر الخرّاز في مورده أنّ الألف الواقعة بعد نون الضّمير تحذف اتّفاقا إن وقعت وسطاً، نحو :{*وممّا رزقناهم ينفقون*} {البقرة،03} ونحو: {زدناهم هدى} {الكهف، 13}، واحترز بقيد الوسط، عن الثابتة الواقعة آخرا في نحو: {ءامنّا} بالبقرة، ثمّ راح ابن عاشر يعلل ظاهرة الحذف في هذا الحكم، فقال بأنّ سبب اختصاص المتوسّطة بالحذف دون غيرها لأن حذف الاختصار لا يُعهد في الأطراف بل في الحشو فقط، فجرَوْا في نون الضّمير على هذا الأمر، واعتبر مثل هذا في ألف المثنّى وفي الألف الواقعة بعد اللّام، لأنّ الأطراف معتبرة في الوقوف حذفا وثبوتا، فحوفظ فيها على مطابقة الملفوظ به .

(ابن عاشر، د.ت، صفحة (503/01))

4.3.2الفرع الرابع: توجيهه حذف ألف داوود: اتفقت مصاحف الأمصار على إثبات ألف {داوود} بسبب حذف الواو منه كما ذكر الإمام الخرّاز معبرّا بقوله "لفقد واوه"، (الخراز، 2011) ثم عقد صاحب فتح المنّان مقارنة بين هذا اللّفظ المتفق حوله ، وبين {إسرائيل} المختلف في ألفها- رغم أن صورة همزتها أيضا محذوفة، فاتفقت العلّة بين اللفظين؛ فقال أنّ حروف الكلمة الثّانية كثيرة، فحصل الثّقل، ولتركيبها من شقّين هما(إسرا بمعنى عبد + إيل بمعنى إلاه) لذلك وقع الخلاف والمشهور الإثبات، وبعد أن ساق احتجاجه، أورد توجيهاً آخر للرّجراجي الّذي يرى أنّ المحذوف من داوود حرف من صريح اللّفظ، والمحذوف من إسرائيل صورة الهمزة التي حذفت في مواضع كثيرة من القرآن .

5.3.2 الفرع الخامس: توجيهه حذف الهمزة الوصلية في بعض مواطنها: في الحديث عن مواطن حذف الهمزة الوصليّة، ذكر الإمام الخرّاز أنها تسقط إن جاءت قبل همزة أصليّة وسُبقت بواو أوفاءٍ نحو {واتو البيوت من أبوابها} .يقول موضّحا هذه القاعدة :

والحذفُ عنهُما بهمزِ الوَصْلِ إذَا أتَى مِنْ قَبْلِ هَمْزِ الأَصْل

من نَحوِ وَأْتوا فأْتِ ....

فذكر توجيه هذا الحذف موضحا بأنّ الهمزة في مثل الأمثلة السّابقة وقعت فاءً للكلمة، وهي أفعال أمرٍ من الثّلاثي، فوجب افتتاحها بهمزة وصل توصلنا لهذا الساكن، فكان قياسها أن تُصوّر ألفا، لكنّ الكلمة اتّصلت بما لا يمكن استقلالها عنه (وهما حرفا الفاء والواو) فقاما مقام الهمزة الهمزة الوصليّة، فسقطت لفظا، فجاء الخط موافقا لذلك لاستثقال اجتماع صورتين .

الخاتمة:

إنّ جهود علماء المغرب الإسلامي في ميدان الرّسم معروفة، تشهد لها مؤلّفاتهم ومتونهم العلمية الّتي ملأت العالم شهرة ولا زالت تتدارس في المعاهد العلمية الى يومنا هذا، وابن عاشر ابنٌ بارٌّ من أبناء هذا القطر الإسلاميّ لكنّه عرف على السّاحة الإسلامّية بجهوده الفقهيّة أكثر من انجازاته في ميدان رسم القرآن والقراءات القرآنية فكانت هذه الورقة العلمية مبيّنة لنموذج من هذه الجهود الّتي بُثّت في ثنايا كتابه فتح المنان المروي بمورد الظّمآن، حيث اعتمد منهجيّة علميّة رصينة، مبنيّة على قواعد وضّحها في مقدّمته، ومصطلحات سار عليها، وقد خلصت إلى نتائج من أبرزها:

-شرح ابن عاشر المسمى بمورد الظّمآن من أوسع شروح المورد، حيث تميّز بإشارته إلى دقائق المسائل، واصلاحاته لهفوات الناظم باستدراكات علميّة، أو إصلاحات شعريّة لأابيات المورد الّتي لم يتفطن إليها جلّ الشّرّاح.

-استدلّ الإمام ابن عاشر في ترجيحه لأوجه من المرسوم بعدة طرائق للاستدلال؛ كالترجيح بموافقة المصاحف، أو الترجيح بأوجه قرائية معيّنة، لاسيما حرف نافع رحمه الله.

-لايزال هذا الكتاب بحاجة إلى خدمة من الباحثين لتدارسه واستخراج مكنوناته من بقيّة الاستدراكات الّتي لم يسعفني المجال لذكرها كاملة، ولبيان ماجرى عليه العمل ومقارنته بالمصاحف المطبوعة حاليا في دويلات مغربنا المحروس.

-اعتمد ابن عاشر على أراءٍ وشرحات سابقة له، وكان يستدرك عليها وينتقدها إن جانبت الصواب بأسلوب ينمّ عن أدب صاحبه.

-يعتبر شرح ابن عاشر مورداً خصبا لتوجيه ظواهر الرسم والاستدلال عليها بطرق مختلفة.

-يعتمد ابن عاشر أسلوب الحوار والفنقلة لافتراض حوار قد يتبادر إلى ذهن القارئ.

هذا ولا أدّعي السّلامة من العيوب فلا كمال إلا لله علاّم الغيوب والصّلاة والّسلام على الرحمة المهداة وعلى الآل الشّرفاء والصّحب الكرام.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

1) إبراهيم بن عمر الجعبري. (2010/1413). جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد. دط. دمشق. دار الغوثاني.
2) أبو عبد الله الفاسي . (1426). اللّآلئ الفريدة في شرح القصيدة. ط1. الرّياض. مكتبة الرّشد.
3) أبو عمرو الداني. (2010/1431) المقنع في معرفة مرسوم المصاحف. ط1. الرّياض. دار التدمريّة.
4) أحمد أبو زيتحار، (2009). لطائف البيان في رسم القرآن. دط. طنطا. دار طنطا للتراث.
5) سعيد أعراب(1990/1410)القرّاء والقراءات بالمغرب. ط1. بيروت. لبنان. دار الغرب الإسلاميّ.
6) سليمان بن نجاح .(1421). مختصر التّبيين لهجاء التنزيل. دط. المملكة العربيّة السّعوديّة. طبعة مجمّع الملك فهد.
7) عبد الكريم بوغزالة، (2008/1429)، تحقيق كتاب فتح المنان لابن عاشر فتح المنان، ابن عاشر. بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتوراه. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة-الجزائر-، كليّة أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلاميّة، إشراف أبو بكر كافي.
8) فتحي بودفلة، (2017/1438)، ظواهر الرسم العثماني حقيقتها، ومواقف العلماء منها، ط1، الجزائر،مطبعة ألف، برج الكيفان.
9) القاسم بن فيرّه الشاطبي،(2012). متن عقيلة أتراب القصائد.ط1، طنطا. دار الصحابة للتراث.
10) نايف بن سعد الزّهراني. (1430) استدراكات السلف في التفسير. ط1. المملكة العربية السّعودية. دار ابن الجوزي.
11) محمد الشّريشي الخرّاز.(2012/1433). متن مورد الظّمآن. ط1. طنطا. دار الصحابة للتّراث.
12) محمد الكتّاني. (دت).سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصّالحين بفاس. دط. المغرب. دار الثّقافة.
13) محمد بن أحمد الحضيكي. (1983/1403) .طبقات الحضيكي . ط1. المغرب. مطبعة النجاح الجديدة.
14) محمد بن أحمد ميّارة. (دت). الدّرّ الثمين والمورد المعين. دط. بيروت. لبنان. دار الفكر.
15) محمد بن الطّيّب القادري.(1977/1397). نثر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثّاني. دط. الرّباط. مطبوعات دار المغرب للتّأليف والترجمة والنّشر.

16) محمد سالم حرشة . (2006/2005). تحقيق كتاب تنبيه العطشان على مورد الظّمآن للرّجراجي. رسالة ماجستير. كلية الآداب والعلوم، ترهونة، الجمهوريّة العربيّة الليّبيّة، إشراف: رجب محمد غيث.
17) محمد مخلوف. (1930/1349). شجرة النّور الزّكية في تراجم المالكيّة. دط. القاهرة. المطبعة السّلفيّة.

المقالات:

18) أحمد بن علي السّديس.(1429). استدراكات أبي شامة على الإمام الشاطبي. مجلة جامعة أم القرى للدراسات الشرعيّة، العدد45.ص:62.